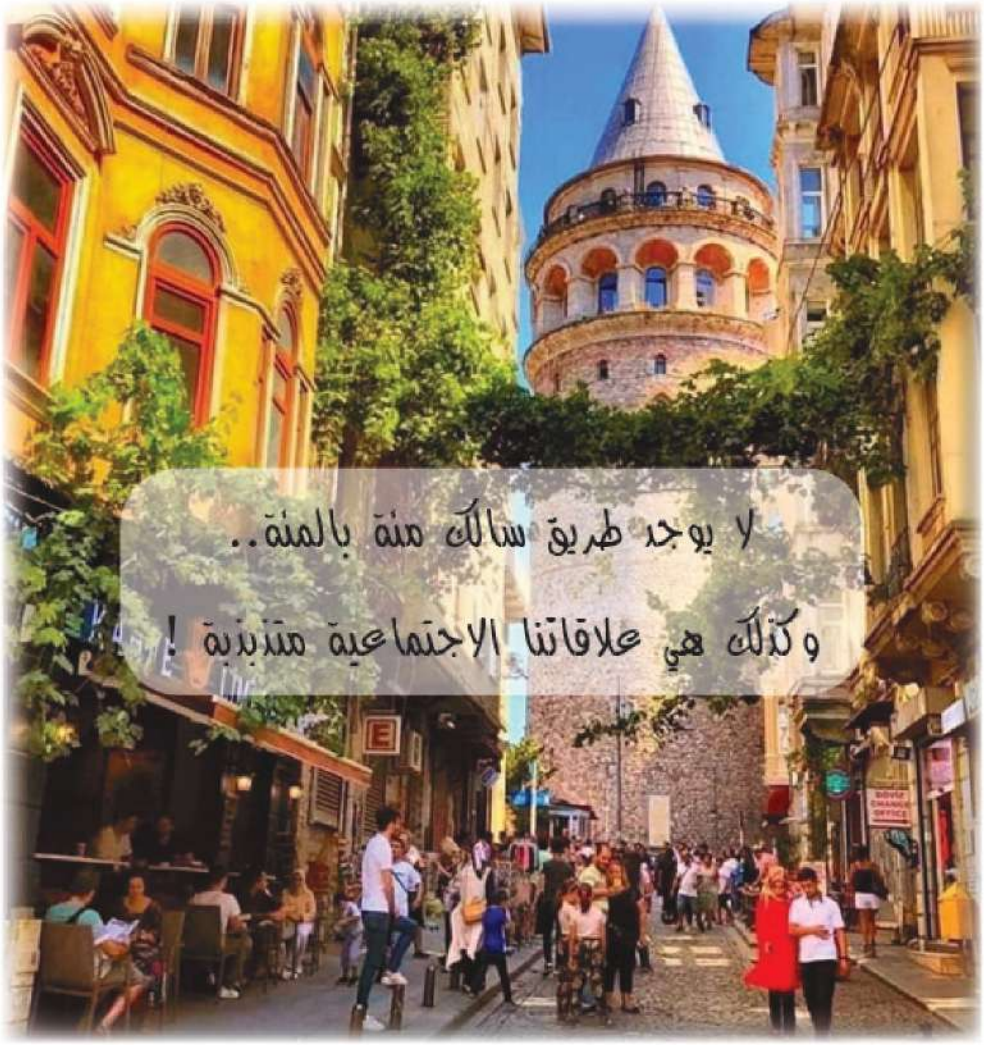
لا يوجد طريق سالك منة بالمنة..
وكذلك هي علاقاتنا الاجتماعية متذبذبة !

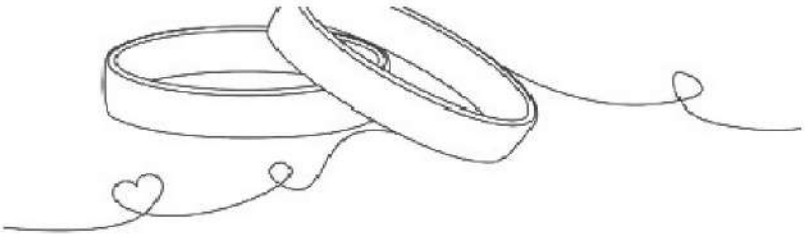

تدخل درة المنزل عائدة للتو من السوق.. أوس جالس بانتظارها يسألها بانفعال..

- لماذا غادرت دون إبلاغي؟

لا تجيبه، وتضع الأكياس فوق الأريكة.. تفتح حقيبة يدها وتأخذ علبة السجائر.. تخرج للشرفة لتدخن.. يقف بوجهها لمنعها من الخروج محاولاً أخذ العلبة من يدها..

- حذرتك من خرق القوانين.

- وأنا لا أخضع لقوانين أحد.

- ستخضعين بالقوة.

- ستضربني؟ هيا افعل.

استطاع أخذ السجائر من يدها.. صرخت به: معتوه.

شدها من ذراعها لتنظر إليه، قائلاً بلهجة حادة:

- لِمَ هذا العناد والتجهم؟! لأني تركتك ساعة من الزمن؟!

- أنت تؤلمني.

- لو فعلت لما كنت تستطيعين الوقوف أمامي هكذا.

- ماذا تريد مني؟

- أنت ماذا تريدين؟ تخلقين المشاكل متعمدة استفزازي، تطارديني أينما ذهبت، وفي النهاية ترفعين الشكاوى ضدي!

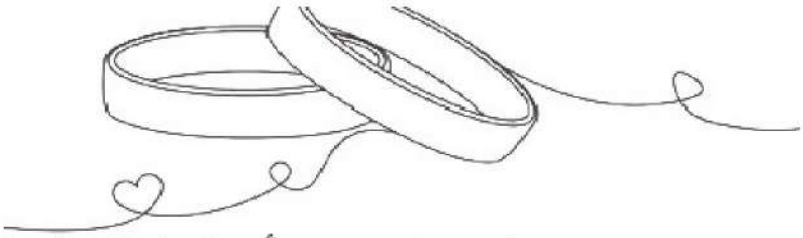

يترك يدها وتسند رأسها على النافذة تذرف دموعها بصمت.. يدنو منها قائلاً:

قبل مجيئك بأيام وأنا أنتظرك.. ملئت المكان بالزهور والهدايا.. فرشت لك الحرير لتطئي عليه من أجل إرضائك.. أخشى عليك من الانفعال والضيق والتوتر.. وماذا بعد؟

ألا أستحق منك الطاعة والرضا والقليل من الاحترام؟! أين المودة والرحمة؟

تتنهد بأسى: أريد أن أنام..

- على الرحب والسعة، إن أردت النوم بين أضلعي جعلتها لك ديباجاً.

- سوف أنام في غرفتي، لن أنام في سريرك.

ذهبت إلى غرفتها دون أن تعيره اهتماماً.. ظل واقفاً بمكانه يحدق بها بأسى مستغرباً ذلك الجفاء منها.

***

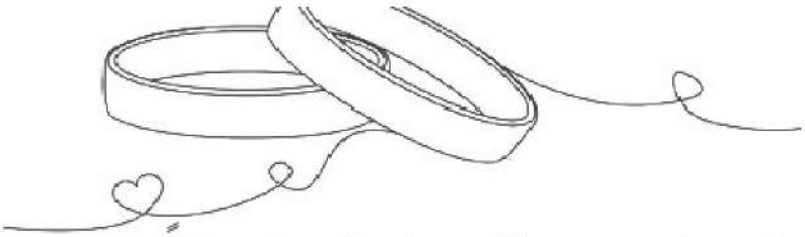

في غرفة نومه.. بات يتقلب على دفتيه.. لا يستطع النوم انشغالاً بمعرفة أسباب حزنها..

يتنهد بأسى قائلاً:

لا بد أن أضاعف محاولاتي معها.. نعم إنها لا تفكر بعقلها عندما تتكالب عليها الأمور..

أنت بحاجتي يا حبيبتي، فلماذا لا تخبريني بذلك؟! كأني أراك الآن تذرفين دمعك بأسى..

أشعر بك وأراك بقلبي قبل عيني.. يتصل بها:

- ما بك يا جوا أرجو أن تخبريني الحقيقة كاملة
- ما سبب اتصالك في هذا الوقت المتأخر؟! (بصوت خافت مبحوح)
- لماذا البكاء؟
- أنا نائمة.
- تكذبين.
- سأغلق الخط.
- سألقي القبض عليك إن فعلتها.

تفزع وتعتدل بجلستها فوراً وقلبها يدق بسرعة كأنها تنبأت بأمر ما.. تسأله بارتباك:

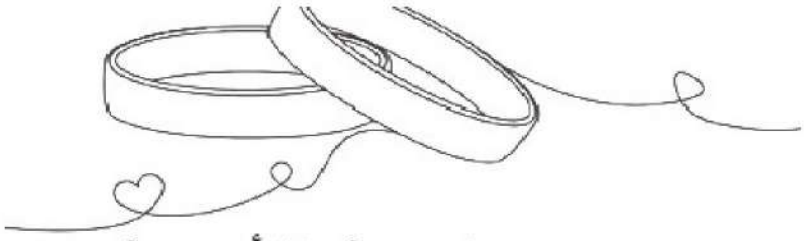

- ما تهمتي؟ بماذا أجرمت؟

- رويدك.. لم أقل شيئاً يستدعي هذا الخوف والفزع!

- أخبرني ماذا يدور برأسك؟ أنت تتحرى عني؟!

- أتحرى عن قلبك المعتوه. (ضحك)

- تكذب.

انتبه لارتباكها الشديد، ما أنذره جهاز التحري بأن هناك شيئاً خلف هذا القلق والارتباك!

حسناً حبيبتي.. نامي ولنا في الغد حديث مطول..

أنهى المكالمة مع ظهور علامات الاستفهام والتعجب تمور في رأسه موراً، ما دعاه للقيام لعمل فنجان من القهوة بهذا الوقت المتأخر من الليل ليبدأ بعرض قطع الأحجية أمامه والشروع في تركيبها.

***

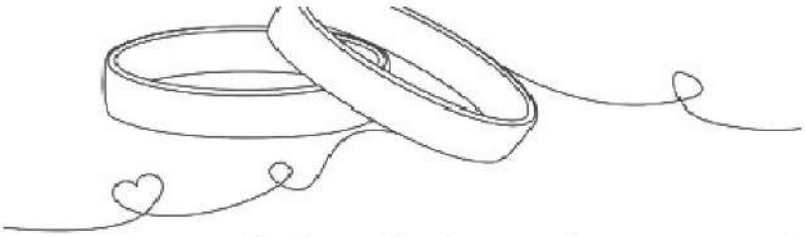

نهض متوجهاً لرؤيتها في غرفة نومهما حيث استلقت في السرير ممسكة بهاتفها تذرف دموعها.. تسمع طرق الباب ويستأذنها بالدخول..

- أستطيع الدخول؟

- نعم (بصوت مخنوق وهي تمسح دمعها)

- سمعت صوت بكائك وآلمني ما تشعرين به..

يجلس بالجانب الآخر من السرير.. تواصل بكاءها ولا تجيبه..

يهم بأخذ الهاتف من يدها فتمنعه، يتنهد بضيق ويلقي ظهره فوق السرير.. يغمض أجفانه وهو يسمع صوت بكائها..

- هل ترغبين بالتحدث في الأمر؟!

لا تجيبه

- ترغبين البكاء فوق صدري؟

- لا...

- ترغبين النوم على ذراعي؟

- أرغب بالبقاء لوحدي..

يستاء منها ويقوم من السرير مستبدلاً مكانه ليجلس في الأرض أمامها قائلاً..

- ها أنت وحيدة الآن..

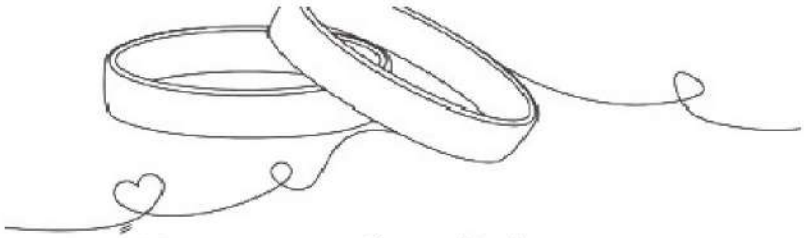

تنظر إليه بتهكم.. يبتسم قائلاً..

- نحن أصدقاء قبل كل شيء يا درة، وهذا العهد بيننا مدى الحياة.. لذا يجب أن أصغي إليك ويجب عليك أن تخبريني بما يحزنك وتفضي بهمومك إليّ شئت أم أبيت.
- وبعد أن تسمعني ستبدأ بمعاتبتي ومحاسبتي أعلم بهذا.
- لن أفعل، أعدك، لكن دعيني أساعدك وأرفع عن كاهل قلبك تلك الحمولة التي لا يقوى على حملها.
- ليس هناك ما أقول.
- تريدين أن أساعدك في البداية؟
- فاجئني أرجوك.
- أبدأ بسؤال أم أبدأ بسرد الحدث؟
- ابدأ من النهاية كعادتك.
- أخشى عليك من الصدمة.
- اطمئن لن أثور كعادتي.
- سوف نخضع للعلاج معاً.

ترمقه بنظرة حادة لأنه أصاب كبد الحقيقة.. يهز رأسه مؤكداً:

- نعم، تعلمين في صميمك أن المرض عاد إليك.
- أنت المريض.

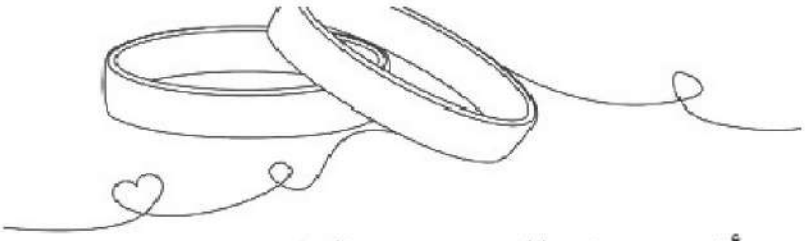

- لم أعترض، قلت إني سأذهب معك للتشخيص والعلاج.
- أنت غير مقتنع بمرضك واضطراباتك المجنونة التي تمارسها معي؟
- ومن شخّصني ليؤكد هذا؟ أنت فقط من حللتني وحكمت عليّ!
- أنا مطلعة بكثرة حول هذا الاضطراب وأعرف أعراضه.
- بل إنك تسقطين ما بك عليّ، هذه الحقيقة باختصار.
- (تثور بوجهه) أنا المتعددة العلاقات؟ أنا من أتغذى على ضحاياي؟ أنا من أكذب وأتظاهر بالمثالية أمام الناس؟!
- أرأيتِ؟! أنا لم أتهمك بشيء فأنت من يردد هذه الاتهامات طوال الوقت.
- انظر إلى قائمة الاتصال في هاتفك وتعرف.
- هل عبثت بهاتفي؟
- هذا ديدن من لا عمل له.
- نعم.. أنا من اعتاد العبث في هاتفك.
- أنت تنتهك خصوصيتي.
- بل أحترمها وأحافظ عليها.. وإلا لما جلست أرضاً أمامك أطلب منك البوح بأسرار تزعجني وأمقت سماعها.

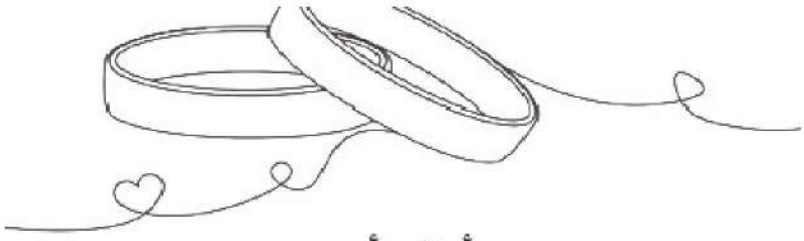

- وأنا لن أبوح بشيء.

- وأنا لن ألح عليك لأني لا أملك ما يكفي من الصبر الآن.

- هذا من حسن حظي.

ينزعج من ردها بشدة ويهم بالقيام قائلاً..

- أنت تفقدين نفسك قيمتها.

ترمقه بنظرة حادة قائلة بعدم رضا..

- لأني معك.

غضب من ردها أوس وسحب الهاتف من يدها بقوة وضربه في الحائط ليذره كقطع الورق المتناثرة في الأرض..

- للمرة الأولى أشعر برغبة حقيقة في ضربك وإيذائك.

أخذت تنظر إليه بدهشة كبيرة عقدت لسانها عن الكلام.. ركز بصره بقوة إليها وصرخ..

- هذا من أفقدك قيمتك.

أشاح بوجهه عنها وخرج غاضباً جداً يرغب بتحطيم كل ما حوله لينفس عن غضبه ورغبته في ضربها.

جعلت تتفقد هاتفها المعدم.. أخذت الشريحة وهمّت بحمل حقيبة يدها ومفتاح السيارة بعد أن قررت ترك المنزل بهذه اللحظة، جمعت أشياءها بسرعة وغادرت الغرفة.. وهي تسمع جلبة الأشياء التي يقوم ببعثرتها وتحطيمها في الخارج..

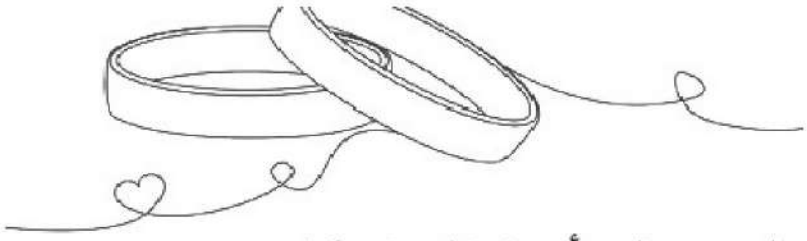

وقفت ترصد رد فعله والفوضى التي أحدثها في كل مكان.. وهو واقف أمام النافذة..

- أنا ذاهبة.. سأستأجر مكاناً آوي إليه.

- لن تذهبي إلى مكان. (بنبرة حادة وهو يرمقها)

تهم بالمغادرة.. تصل الباب وقبل أن تضع يدها على قبضته يصرخ بها.

- أقسم بأغلظ الإيمان بأني سأحطمك هذه المرة.

- افعل أيها النرجسي ولكن لن أبقى معك البتة.

- ستبقين رغم أنفك.

- وسأذهب رغم أنفك.

يجرها من ذراعها لتعود قائلاً:

- كفي عن استفزازي فلقد نفد صبري.. سئمت من هذه اللعبة القذرة، إلى متى وقلبك يستعبدني؟!

- أكرهك، دعني وشأني. (صرخت بوجهه)

يضربها على فمها بقوة جعلتها لا تشعر بأسفل وجهها.. ويجرها من ذراعها ليجلسها في الأريكة رغماً عنها، ويقف أمامها ممسكاً بكلتا ذراعيها ليصبح مسيطراً تماماً على حركتها.

- إلى متى وأنت ترقصين لذكراه طرباً بينما يرقص هو على قبرك؟

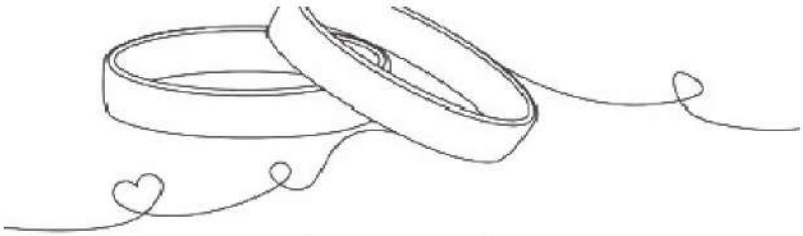

إلى متى تعظمين جلالة السلطان المبجل بينما لا تعدين أن تكوني في مصاف جارياته؟!

- انتبه للسانك كي لا أشتمك.

- يمتقع لونه ويصرخ بها: لا أريد أن أسمع صوتك الآن أيتها الخائنة.. اذهبي للجحيم أيتها المريضة.. هيا انصرفي.

أوجست منه خيفة وأخفضت رأسها ملتزمة الصمت وهي تشعر برعشة يده التي أحكمها على يدها وأنفاسه التي ينفثها كالمحتضر.. يقرب رأسه من رأسها ويهمس بأذنها بقهر..

- أنا عرشك وهو نعشك.. ولن أقدم جثمانك له حتى لو اضطررت لحرقه.

***